

فقد ربط الدكتور طه حسين في هذا البحث ، البيان العربي ، كما يبدو في كتابات الجاحظ ، ومن أتى بعده من علماء البيان العربي حتى عبدالقاهر في القرن الخامس الهجري ، بالبيان اليوناني متمثلاً ، بخاصة ، في كتاب الخطابة لأرسطو . ورأى أنه حتى منتصف القرن الثالث الهجري لم يكن قد وجد بيان عربي تام التكوين ، وإنما كانت هناك جهود صادقة مفيدة ترمى إلى إنشاء هذا البيان ، ووضع قواعده وتلقيها للطلاب المبتدئين في مدارسهم ؛ وفي هذا الطور من أطوار البيان تلاقى الروح العربي مع الروح الفارسي والروح اليوناني ، وعملت تلك العناصر الثلاثة معاً في خصوبة وإنسجام . ومنذ منتصف القرن الثالث وجد بيانان : أحدهما عربي محافظ لا يقرب الفلسفة اليونانية إلا في كثير من التحفظ والاحتباس ، والآخر يوناني ينهج بالأخذ عن أرسطو ، فاستهدف بذلك لحملات المحافظين المنكرة وألستهم الحداد (١٧٢) . على أن البيان الأول ، وهو البيان العربي المحافظ لم يسلم - في رأيه - من تأثير الفكر الأرسطي ، ويشير في هذا الصدد إلى أن أول كتاب في البيان العلمي وهو كتاب البديع لابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ قد ظهر في نفس الفترة التي ظهرت فيها ترجمة (كتاب الخطابة) لأرسطو ، مستندا في ذلك إلى أن هذا الكتاب ترجمه حنين بن إسحاق ، ومن المحتمل - على حد قوله - أن تكون هذه الترجمة قد ظهرت بعد وفاة الجاحظ أي في النصف الثاني من القرن الثالث ، لأن حنين بن إسحاق - كما يقول - توفي في عام ٢٩٨ هـ .

ومع أن الدكتور طه حسين لم يكن في الوقت الذي كتب فيه هذا البحث قد اطلع على كتاب البديع ، فقد اعتمد في تقرير ما ذهب إليه من تأثير ابن المعتز بأرسطو على ما نقله الذين اطلعوا على كتابه سالف الذكر ، وخرج بنتيجة مؤداها أن الذي يدرس أنواع البديع الثمانية عشر التي أحصاها ابن المعتز في كتابه ، وجاءت في كتاب معاصره قدامة بن جعفر ، وفي كتب الذين جاءوا بعده يلحظ فيها لا محالة أثرا بينا للفصل الثالث من كتاب (الخطابة) وبعبارة أدق للقسم

(١٧٢) انظر « تمهيد في البيان العربي من الجاحظ على عبدالقاهر » في مقدمة كتاب نقد النثر بيروت ،

المكتبة العلمية ، ص ١١ .